جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة: فقه اللغة

عنوان المحاضرة

أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة

أ.م.د. سعد أحمد إبراهيم

2025_2024

أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة

مما لا شك فيه أنَّ دراسة اللهجات العربية القديمة ذات جدوى في الدراسات اللغوية الحديثة ، فعن طريقها يمكننا معرفة التطور في دلالات الالفاظ ، ومعرفة ما تؤديه تلك المفردات من معان مختلفة تبعاً لاختلاف البيئات ، استخدام القبائل للمفردة العربية استخداماً لا يعني بالضرورة التماثل والتشابه ، فعن طريق دراسة تلك اللهجات نخلص إلى ما أصاب العربية الفصيحة من تطور خلال تأريخها الطويل .

إنَّ الصفات الخاصة التي تتميز بها لهجة من اللهجات تبرز في نطقها للمفردات وطريقة التعبير الصوتي تختلف عما يماثلها في اللهجات الاخرى ، فاللهجات في بيئة بدوية هي غيرها في البيئة الحضرية ، والظروف الاجتماعية التي نجدها في بيئة ما قد تختلف عما هي عليه في بيئة اخرى ، وهي تسم لهجتها بسمات تختلف كثيراً عما هي عليه في الثانية ، وهكذا .

ودراسة اللهجات العربية تعيننا كذلك في نسبة كثير من اللهجات الحديثة واعادتها إلى اللهجات القديمة ، فالقاب اللهجات التي نعرفها – وسوف نتحدث عنها فيما بعد – تفيدنا كثيراً في رسم الخارطة اللغوية للتوزيع اللهجي ، وانتشار القبائل العربية ، وهجرتها ، و مناطق سكناها قديماً وحديثاً .

وتساعد دراسة اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة في فهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشوئها وتطورها ومدى تأثير البيئة فيها.

تعد دراسة اللهجات المختلفة في اللغة الواحدة من وجهة نظر علم اللغة الحديث مساعداً حسناً لفهم طبيعة تلك اللغة ومراحل نشوئها ، وتطور وبيان تأريخها ، والكشف عن تأثير البيئة في ذلك كله . وذلك ان علماء اللغة يرون في اللهجات (مبادئ التطور النحوي والصرفي والفقهي ، وقل ان يعتبروا الشكل الكتابي التأريخي للغة ، اذ من الثابت ان تدوين اللغة وتقييدها بقواعد واحكام لا يخلوان احياناً من التعسف والتكليف ، فضلاً عن الحد من نشاط اللغة).

غير أنَّ هناك كثيراً من العقبات ، والصعوبات تعترض سبيل الباحث في هذا المجال واهم تلك الصعوبات: -

1- لم تعن الدراسات القديمة عناية جدية باللهجات العربية القديمة ، واصواتها ، وما روي منها لم يتعد الملاحظات العابرة في ثنايا القراءات القرآنية ، وفي كتب التفاسير ، والموسوعات الادبية ، ومعجمات اللغة ، وكتب النوادر .

2- وردت كثير من اللهجات غير معزوة إلى قبائلها ، واكتفى بالقول انها لغة بعض العرب ، أو قوم من العرب يقولون ، أو ناس من العرب أو بعض العرب ... الخ .

3- عدم وجود رموز خطية كافية لتسجيل دقيق لبعض الظواهر الصوتية كالكشكشة ، والكسكسة ، والامالة ، الاشمام .

4- عدم الدقة في جمع المادة اللهجية ، واختلاطها بالعربية الادبية وبخاصة في المعاجم العربية ، لذا لا يمكن الاعتماد عليها جميعاً الا في المعروف منها .

5- تسرب الوهم والخطأ إلى بعض ما جمع من مادة اللهجات ، واختلاف اللغويين في عزوه ونسبته إلى أهله . و إنَّ ورود أسماء متشابهة لبعض القبائل أوقع بعض اللغويين في الخطأ أيضاً .

ولابد من الاشارة إلى أنَّ اللغويين الأقدمين لم يعرضوا اللهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضا مفصلا لنقف على الخصائص التعبيرية والصوتية لتلك اللهجات فلم نعرف كتابا واحدا تخصص في دراسة اللهجات العربية القديمة لكن كتبهم تشير إلى انهم عرفوا نوعا من الكتب اطلقوا عليها كتب اللغات منها:

1- كتاب اللغات: ليونس بن حبيب (ت182هـ).

2- كتاب اللغات: لابى عمرو الشيباني (ت نحو 206هـ).

3- كتاب اللغات: للفراء (ت 207هـ)

4- كتاب اللغات: لابي عبيدة (ت نحو 210هـ).

5- كتاب اللغات: لابي زيد (ت 215هـ).

6- كتاب اللغات: للاصمعي (ت 216هـ).

7- كتاب اللغات: لابن دريد (ت 321هـ).

8- كتاب اللغات: لابي نصر الفارابي (ت 339هـ).

9- كتاب اللغات: لعمرو بن جعفر الزعفراني (ق 4هـ).

10- كتاب اللغات: لابن خالويه (ت370هـ).

وكل هذه الكتب التي تعد اصولا للهجات القبائل العربية مفقودة.

وقد وصلت الينا نصوص منثورؤة من هذه الكتب في المجمعات العربية واتضح منها انها كانت نوعا من المعجمات وان مؤلفيها لم يكونوا يهتمون الا في القليل بعزو

معنى اللهجة:

طرف اللسان ، واللهجة : جرس الكلام ، ويقال : فلان فصيح اللهجة واللهجة وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها ..... واللهجة : اللسان.

وقد شاع في كتب اللغويين العرب القدامى مصطلح (لغة) ويعنون به (اللهجة) كما شاع مصطلح (لحن) ويعنون به كذلك (لهجة) ، ولهذا نجدهم أكثروا من تسمية كتبهم التي تعني بهذه ويعنون به كذلك (لهجة) ، ولهذا نجدهم اكثروا من تسمية كتبهم التي تعني بهذه اللهجات باللغات ، مثل (اللغات في القرآن) لعبد الله بن عباس برواية ابن حسنون المقرئ ، ومثل ذلك للفراء ، والاصمعي ، وابي زيد الانصاري ، وغيرهم ، كما صنف يونس بن حبيب ، وابو عبيدة ، وابو عمرو الشيباني ، وغيرهم في لغات القبائل ، وهم يقصدون باللغة : اللهجة .

واللهجة في الاصطلاح ((هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تسير اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، ومنهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات ... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها)) .

ويصدق قول الهمداني : (ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات) .

أشهر اللهجات العربية وخصائصها

هناك خصائص لغوية تحملها بعض اللهجات، تميزها عن غيرها، واهمها:

- على المستوى الصوتي :

الاصوات وكيفية صدورها ، كتحقيق الهمز وتخفيفه ، فقبيلة ((تميم)) تحقق الهمز بعكس أهل الحجاز ، وكذلك الإمالة والإبدال ((فيروى ... ان قبيلة تميم كانوا يقولون في فزت : فزد كما كانوا ينطقون بالهمز عينا)) ولعل الإبدال أبرز الظواهر الصوتية الفارقة بين اللهجات الذي تشتهر به قبيلة ويروى عنها كالاستنطاء والعنعنة والفحفحة والكشكشة وغيرها من اللهجات المذمومة.

- على المستوى الصرفي :

تتميز بعض اللهجات بطريقة صياغة الابنية الصرفية من ذلك اسم المفعول من الثلاثي معتل الوسط بالياء فالقياس حذف الياء أو وأو مفعول على خلاف فيقال في " باع و خاط " : مبيع ومخيط إلا قبيلة تميم فإنها تصححه فيقولون : مبيوع ومخيوط ومنه

قول العباس بن مرداس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون

- على المستوى الدلالي

تنفرد بعض اللهجات بدلالات خاصة وقد نشأ من تنوع الدلالات وجود المشترك اللفظي والترادف من ذلك ان ابا هريرة لم يفهم معنى " السكين " لما طلبها منه النبي " ص " وقال : المدية تريد ؟ فقيل له : نعم فقال : أو تسمى عندكم سكينا ؟ ثم قال : والله لم اكن سمعتها الا يومئذ .

الا ان هذا الاختلاف في الدلالة لا يكون كثيرا فان اللهجة إذا اختلفت معاني معظم كلماتها واتخذت اسسا خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها لا تسمى حينئذ لهجة بل لغة مستقلة .

العلاقة بين لهجة الحجاز ولهجة تميم

سلف أن ذكرنا أنَّ لهجة الحجاز تبوأت المكانة الأولى بين اللهجات العربية واصبحت هي الفصحى المقصودة عند الاطلاق.

ويظهر من كل ما ورد في مؤلفات القدامى من نحويين ولغويين ومفسرين ان لهجة الحجاز تقابل لهجة تميم فلكل لهجة خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية التي تخالف خصائص الاخرى وان كانت هذه الخصائص جميعا تقع ضمن الاطار العام لخصائص العربية الفصحى.

وأقدم من فطن إلى هذا التقابل بين اللهجتين هو سيبويه ، إذ أورد كثيراً من الحالات الإعرابية في اللهجتين.

وأفرد السيوطي فصلاً في كتابه سماه: (ذكر الفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم).

وهذا التقابل بين اللهجتين يعزى إلى اختلاف البيئة ، فقد نشأت لهجة تميم في البادية ونشأت لهجة الحجاز في الحاضرة وإلى تأثير ذلك في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وتتحد مواطن الخلاف بين لهجتي الحجاز وتميم في قواعد البنية والاصوات والدلالات وسنشير إلى قسم من هذه الخلافات:

أولاً: حركة أحرف المضارعة:

أهل الحجاز لا يكسرون حرف المضارعة فيقولون: تَعلم بفتح التاء.

وتميم تكسر حرف المضارعة تقول تِعلم بكسر التاء.

ثانيا: ما:

أهل الحجاز يعلمونها عمل ليس لذا سميت (ما الحجازية) فيقولون: ما زيدٌ منطلقاً.

وتميم لا تعمل ما تقول: مازيدٌ منطلقٌ.

ثالثا: خبر ليس إذا اقترن بـ (إلا)

أهل الحجاز ينصبون الخبر في قوله: (ليس الطيبُ إلا المسكَ).

وتميم ترفع هذا الخبر حملا لـ (ليس) على ما النافية فتقول: (ليس الطيبُ إلا المسكُ).

رابعا: الادغام:

أهل الحجاز يفكون ادغام الفعل الثلاثي في حالات الامر والجزم والوقف يقولون: أردُد ولمَ يردُد واغضُض طرفك واشدُد على الاعداء.

وتميم تدغم في هذه الحالات جميعا تقول: ردّ، ولم يردّ ، وغضّ، وشدّ.

خامسا: اسم المفعول من الاجوف:

أهل الحجاز يقولون: مبيع ومعيب ومخيط ومكيل فهم يعلون بالحذف.

وتميم تقول: مبيوع ومعيوب ومخيوط ومكيول فهم يتمون مفعولا من الياء.

سادسا: صيغة فعال علما لمؤنث:

أهل الحجاز يبنون هذا الاسم على الكسر مطلقا ويقولون: هذ حذامِ ورأيت حذامِ ومررت بحذامِ.

وتميم تعربه اعراب ما لا ينصرف في جميع الحالات اذلا إذا كان مختوما بالراء فانهم يبنونه على الكسر كحضارِ وجعارِ يقولون: هذه حذامُ لانها معدولة عن حاذمة.

سابعا: الهمز والتسهيل:

أهل الحجاز يسّهلون الهمزة ولا ينبرونها فيقولون: توضيت وراس وفاس بلا همز.

سأل احد الرواة رجلا من قريش: اتهمز الفأرة؟ لم يفهم المسؤول واجاب متهكما: اما يهمزُها القطّ.

وتميم تنبر الهمزة أي تحققها وتلتزم النطق بها تقول رأس وفأس بالهمز.

ثامنا: عكاظ بين الصرف والمنع:

صرف الحجازيون عكاظاً وقالوا: زرتُ عكاظاً هذه عكاظُ ومررتُ بعكاظٍ بالتنوين فيها جميعاً.

وتميم منعوها الصرف قالوا: رأيتُ عكاظَ وهذه عكاظُ ومررتُ بعكاظَ بدون تنوين في الجميع.

تاسعاً: مبرورا مأجورا:

أهل الحجاز يقولون: مبروراً مأجوراً فينصبون على: اذهب مبروراً مأجوراً.

وتميم تقول: مبرورٌ مأجورٌ فترفع على اضمار(أنت).

عاشراً: جمع فُعْلَة على فُعلات:

أهل الحجاز يضمون العين اتباعا للفاء في جمع فعلة فيقولن: فُعُلات مثل: غُرفة وغُرُفات وخُطوة وخُطُوات وشُرفة وشُرُفات.

وتيم تسكن العين فتقول: فُعْلات: غُرْفات وخُطْوات وشُرْفات.